



في لبنان

قصدنا إلى لبنان حين تقدّم فصل الصيف... ومضيّ إلى هذه القرية بعينها لكثرة ما حدّثني الناس عنها، وإلى هذا الفندق بعينه لأنّه كان أضخم فنادق القرية بناءً، وأرحبها فناءً، وأكثرها حُجُراتٍ وغرفات. فلا أكاد أبلّغه حتّى يلقاني صاحبه بهذا السّيل المتدفّق من التّحيّة والتّكريم.



ثمّ يقول لي في صوت شعريّ عذب: غرفات الفندق يُطلُّ بعضها على جهة البحر، فينعم السّاكن فيها بمنظره الرّائع ونسيمه البليل؛ وبعضها يُطلُّ على هذه الجنّة المنبسطة التي ترتفع أشجارها العتيقة في السّماء. وأنفقْتُ في هذا الفندق شهرًا وبعض الشّهر، ناعمًا بالراحة والهدوء الذي يملأ القلب رضىً، والنّفس مرّحًا، والعقل نشاطًا، عاكفًا على القراءة. فإذا ضِقتُ بالقراءة أخذتُ في الحديث مع الرّفاق والزّائرين...



وإن أنسى فلن أنسى يومًا أزمننا فيه أن نتروّض في لبنان. فلم نكد نرفع أيدينا من طعام الغداء حتّى انحدرت بنا السيّارة إلى بيروت، ثمّ صعدتُ بنا إلى عاليه، ثمّ مضت مُصعّدةً ومصوّبةً، ونحن نَقْفُها هنا وهناك، نيامن بها مرّةً، ونُياسِرُ بها مرّةً أخرى، حتّى إذا أقبل الأصيل كنّا بلغنا شتورة، وقد أخذ منا الجوع والظّمأ لكثرة ما صعدنا وما صوبنا ويامنا ويأسرنا في هذا الهواء الذي كان يذكّرنا بقول المتنبي:

وهو الشّتاء وصيفُهنّ شتاء؟

وشعابُ لبنان وكيف يقطّعها

فلما بلغنا شتورة مجهودين مكدودين جياعًا ظمأً أسرّعنا إلى فندقها الأصيل؛ فتلّقانا صاحبه بما تعود اللبنانيون أن يتلقّوا به الصّيواف من التّأهيل والتّسهيل والتّرحيب، ويسعى بنا إلى غرفة الطّعام. وهناك يقدّم إلينا ما شاء الله من طعامٍ مختلفةٍ ألوانه، وفاكهةٍ مختلفةٍ فنونها، وشايٍ لم أشرب مثله قطّ جودة نوعٍ ودقّة صنّع.

كذلك أنفقْتُ تلك الإجازة في لبنان. فأني غريبةٌ في أن أعود إلى لبنان كلّما أُتيحت لي العودة إليه؟ وأشهد ما تركتُ لبنان قطّ إلّا تردّد في نفسي، وربّما تردّد على لساني:

"بنفسي تلك الأرض، ما أطيب الرّبي! وما أحسن المصطاف والمُتربّع!"

1949

طه حسين

"بين بين"

أزمنّا: صمّنا على...

نتروّض: نتنّزه، نتفسّح.

المصطاف والمتربعا: مكان الاصطياف ومكان الرّاحة.

* المتنبي: من كبار شعراء العرب 915 - 965م.

** طه حسين: 1889 - 1973م. أديب مصريّ كبير. لقّب بعميد الأدب العربيّ. فقد بصره منذ كان طفلاً...

الأسئلة:

1- أتأمّل حواشي النّصّ وأقدّمه موثّقاً إيّاه.

النّصّ تحت عنوان _____ مستلّ من كتاب _____ وهو للكاتب _____.

2- عرّف بطله حسين من خلال حواشي النّصّ.